الحلقة (٢٣)

يقول الطحاوي رحمه الله : "**ومن سمعه وقال إنه كلام البشر فقد كفر**"، لا شك في تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله بل قال إنه كلام محمد أو غيره من الخلق ملكا كان أو بشرا، وأما إذا أقر أنه كلام الله ثم أوّل وحرّف فقد وافق قول من قال: { إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ } في بعض ما به كفر، فأولئك الذين استزلهم الشيطان وسيأتي الكلام عليه عند قول الشيخ الطحاوي رحمه الله "**ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله**" إن شاء الله تعالى.

قول الطحاوي "**ولا يشبه قول البشر**" يعنى أنه أشرف وأفصح وأصدق يقول الله تعالى " تعالى {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا }ويقول تعالى { قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ } ويقول تعالى

{ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ } ويقول تعالى { قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ} فلما عجزوا وهم فصحاء العرب مع شدة العداوة عن الإتيان بسوره مثله تبين صدق الرسول صلى الله عليه وسلم أنه من عند الله، وإعجازه من جهة نظمه ومعناه لا من جهة أحدهما فقط، هذا مع أنه قرآن عربي غير ذي عوج بلسان عربي مبين، أي باللغة العربية، فنفى المشابهة من حيث التكلم ومن حيث النظم والمعنى، لا من حيث الكلمات والحروف، وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور، أي أنه في أسلوب كلامهم وبلغتهم التي يتخاطبون بها، ألا ترى أنه يأتي بعد الحروف المقطعة؛ بذكر القرآن كما في قوله تعالى {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ }وقال تعالى{ الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ }وقال تعالى{ المص *كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ }ويقول تعالى {الر* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ }وكذا في باقي السور، ينبههم أن هذا الرسول الكريم لم يأتكم بما لا تعرفونه، بل خاطبكم بلسانكم، ولكن أهل المقالات الفاسدة يتذرعون بمثل هذا إلى نفي تكلم الله به وسماع جبريل منه، كما يتذرعون بقوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} إلى نفي الصفات، وفي الآية ما يرد عليهم قولهم وهو قوله {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } إذ فيها إثبات، كما في قوله تعالى { فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ }ما يرد على من ينفي الحرف، فإنه قال فأتوا بسورة ولم يقل فأتوا بحرف أو بكلمة، وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات، ولهذا قال أبو يوسف محمد رحمه الله وهو من الحنفية أن أدنى ما يجزئ في الصلاة ثلاث آيات قصار، أو آية طويلة، لأنه لا يقع الإعجاز بدون ذلك والله أعلم.

يقول الطحاوي رحمه الله :"**ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار إنزجر، وعلم أن الله بصفاته ليس كالبشر**"، لما ذكر في ما تقدم أن القرآن كلام الله حقيقة، وذكر العقيدة السلفية المطلوبة من كل مسلم في القرآن، وأن يعتقدها في القرآن، وكلام الله سبحانه وتعالى منه بدأ: نبه بعد ذلك على أنه تعالى بصفاته ليس كالبشر، نفيا للتشبيه عقب الإثبات، يعنى أنه تعالى وإن وُصف بأنه متكلم لكنه لا يوصف بمعنى من معاني البشر، يعنى لا نقول

متكلم ككلامنا، وإنما يتكلم بكلام ليس ككلامنا، إنما يليق بجلاله وعظمته سبحانه، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون الإنسان بها متكلما، فإن الله { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } ، وما أحسن المثل المضروب للمثبت للصفات من غير تشبيه ولا تعطيل؛ باللبن الخالص السائغ للشاربين، يخرج من بين فرث التعطيل ودم التشبيه، والمعطل يعبد عدما والمشبه يعبد صنما، وهذا يأتي في كلام الشيخ ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه، وكذا قوله وهو بين التشبيه والتعطيل، أي دين الإسلام، ولا شك أن التعطيل شر من التشبيه لما سيرد علينا إن شاء الله تعالى، وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم تشبيها، بل صفات الخالق كما يليق به وصفات المخلوق كما يليق به.

قول الطحاوي "**فمن أبصر هذا اعتبر**" أي من نظر بعين بصيرته فيما قاله من إثبات الوصف ونفي التشبيه ووعيد المشبه: اعتبر وانزجر عن مثل قول الكفار.

هذا مايخص الكلام عن صفه الكلام للباري جل وعلا والقول بخلق القرآن، وإن بقي في الحلقات فضل سنقرأ ما ذكره شيخ الإسلام وذكره ابن القيم في الرد على من يقول بخلق القرآن، وما ذكره أهل السنة والجماعة، وسنختار أبسط عبارة من هذه الكتب بحكم أنكم في المستوى الأول نقرأ فيها إن شاء الله تعالى ونطلع عليها ونتدارسها.

أنتقل إلى نقطة مهمة من نقاط المنهج وهي:

➔ مسألة الرؤية .

رؤية الله حق لأهل الجنة والرد على من خالف في ذلك من الجهمية والمعتزلة والخوارج والإمامية

يقول الطحاوي رحمه الله: "**والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه" المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة.**

هذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وحُرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون، وقد ذكر الطحاوي رحمه الله من الأدلة قوله تعالى { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}وهي من أظهر الأدلة، وأما من أبى إلا تحريفها بما يسميه تأويلا، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب أسهل من تأويلها على

أرباب التأويل، ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأولوا هذه النصوص، وهذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية، فهل قتل عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد!؟ وكذا ما جرى في يوم الجمل بين علي وعائشة رضي الله عنهم أجمعين، وصفين، ومقتل الحسين عليه السلام، والحَرّةُ، وهل خرجت الخوارج واعتزلت المعتزلة ورفضت الروافض وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد؟!

وإضافة النظر إلى الوجه الذي محله في هذه الآية { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}النظر أضيف هنا إلى الوجه، الذي هو محله في هذه الآية، وتعديته بأداة "**إلى**" الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقته وموضوعه صريح في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله،

❖ فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه:

١. فإن عدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار، كقوله تعالى { انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ }.

٢. فإن عدي بـ في فمعناه التفكر والاعتبار، كقوله تعالى {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}.

٣. وإن عدي بـ إلى فمعناه المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى { انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ } فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر، وروى ابن مردويه بسنده إلى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} قال من البهاء والحسن، {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }قال في وجه الله عز وجل، هذا الحديث أخرجه ابن جرير في تفسيره جامع البيان، وإن كان في إسناده مقال، وعن الحسن قال (نظرت إلى ربها فنضرت بنوره)، وقال أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }قال تنظر إلى وجه ربها عز وجل، وقال عكرمة

{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ } قال من النعيم، {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } قال تنظر إلى ربها نظرا ثم حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله، وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والجماعة وأهل الحديث.

يقول تعالى { لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ } يقول الطبري: قال علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك رضي الله عنهما: هو النظر إلى وجه الله عز وجل، تفسير المزيد في هذه الآية المراد به النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، ويقول سبحانه وتعالى { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } فالحسنى الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى، فسرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده، كما روى مسلم في صحيحة عن صهيب رضي الله عنه أنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة،

وأهل النار النار، نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا ويريد أن ينجزكموه، فيقولون :ما هو، ألم يثقل موازيننا؟ ويبيض وجوهنا؟ ويدخلنا الجنة؟ ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة) وروى هذا غير مسلم بأسانيد متعددة وألفاظ أخر، معناها أن الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل، وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم.

روى ابن جرير عن جماعة منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وحذيفة رضي الله عنه، وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه، وابن عباس رضي الله عنهما، وقال تعالى {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُون } احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني صاحب الشافعي، قال الحاكم: حدثنا الأصم قال حدثنا الربيع بن سليمان قال حضرت محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عز وجل {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُون } ؟ فقال الشافعي: "لما أن حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا".

المعتزلة أنكروا الرؤية ونفوا الرؤية، **واستدلالهم كان** بقول الله تعالى لموسى {قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَـكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ} إلى آخر الآيات، وبقول الله تعالى {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَار} **فالآيتان فيها دليل عليهم، فيستدل بالآيتان عليهم، وليست دليلا لهم.**

الآية الأولى {قَالَ لَنْ تَرَانِي} فالاستدلال منها على ثبوت رؤيته من وجوه:

- **أحد هذه الوجوه**: أنه لا يُظن بكليم الله موسى ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يَسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.
- **الثاني**: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح عليه السلام ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله، وقال {إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِين} لكن هنا موسى لم ينكر الله عز وجل عليه سؤاله وطلبه الرؤية.
- **الثالث**: أنه سبحانه وتعالى قال {لَنْ تَرَانِي} ولم يقل أني لا أُرى ولا تجوز رؤيتي أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى من كان في كمه حجر أخفى عن الناس حجرا فظنه رجلا طعاما، فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح أنه لا يؤكل، أما إن كان طعاما صح أن يقال إنك لن تأكله، وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى مرئي، ولكن موسى عليه السلام لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدنيا لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى.
- **الوجه الرابع**: قوله تعالى {وَلَـكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي} فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف!
- **الوجه الخامس**: في الرد على المعتزلة في استدلالهم بالآية الأولى قوله تعالى {قَالَ لَنْ تَرَانِي} هو أن الله

تعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقرا، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كان محالا لكان نظير أن يقول إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام، والكل عندهم سواء.

▪ الوجه السادس: قوله تعالى {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا} فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد؛ لجاز أن يتجلى الباري جل وعلا للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته، ولكن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

▪ الوجه السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم أن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ودعواهم تأبيد النفي بلن، وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، فاسد، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت؟! يقول الله تعالى {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا } وقال تعالى { وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّك } ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، ويقول الله تعالى { فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي } فثبت أن (**لن**) لا تقتضي النفي المؤبد، يقول الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله:

ومن رأى النفي بلن مؤبدا *** فقوله أردد وسواه فاعضدا

هذا ما يختص بالرد على المعتزلة في استدلالهم في الآية الأولى قوله سبحانه { لَنْ تَرَانِي} ، أما استدلالهم بالآية الثانية وقولهم بأن الله عز وجل لا تدركه الأبصار فأرجئ الكلام عليها إلى الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.